همة نملة..... ومستقبل امة

بقلم هبه عبدالرؤوف عزت

نشرت في جريدة الدستور ٢٠٠٧/٦/٢٤

الحديث عن النمل حديث موصول، فكما ذكرت في المقال الماضي قد يصمد النمل وتفشل الأفيال في مواجهة التحديات، النمل يتحمل أضعاف وزنه، يحاول ويناور، يدخل الجحور ويختبئ ثم يعود منتشرًا، يملك الجرأة أن يقرص الفيل فيؤرق نومه، ويتابع الأخبار السياسية ويعرف متى يمر سليمان وجنوده وأين ويطلق التحذير ليدخل الباقون منازلهم حتى تمر الكارثة القادمة بسلام، وحين يأكل النمل العصا الذي يتكئ عليه جسد الدولة المترهل الميت الذي يحسبه الناس مهيمنًا وباطشًا يدرك العالمين أنهم لو كانوا أكثر وعيًا لما لبثوا في العذاب المهين... وأن النمل كان أكثر وعيًا وأقدر على صياغة التاريخ بالفعل الدؤوب الصغير دون حاجة للقدرة الخارقة للجن.

القدرة على صياغة التاريخ بالفعل الدؤوب الصغير.

كان سليمان يعرف لغة النمل، وكان يعرف أمانة الملك، وكان يسخر الجن، لكن المشكلة أن الدولة اليوم لا تعرف لغة النمل، ولا تدرك أمانة الوطن وتبيع مستقبل الأمة للجن والعفاريت مقابل ثمن بخس... أو مجانًا. حين تتوغل الدولة وتتوحش فتبتلع المساحات التي يتحرك فيها النمل وتبدأ في حملات إبادة حشرية لتخلي المكان من تلك الكائنات المتحركة التي تستفزها لتترك الأمكنة جرداء، أسهل في البيع وأقل إثارة للضوضاء، هل تحسب أن النمل سيندثر، التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع تدلنا على أن ذلك لا يحدث، وأن النمل يختبئ لكنه لا يموت، يتمهل لكنة لا يكل ولا يمل، وأنه يطور استراتيجيات جديدة، ويدخل تحت البلاط ليعيد تأسيس مجتمعاته الخفية غير المنظورة ثم يعود في لحظة تاريخية مواتية ليتحرك في المساحات المحظورة ويتحدى التقييد والحظر، ويستعصى على التجاهل والتهميش والإزاحة من الوجود. يعلو صوت أجش أحيانًا: "من أين جاء النمل وما الذي يفعله هنا". والمضحك أن النمل أيضًا يتساءل نفس التساؤل في المقابل: "كيف أغتصب صاحب هذا الصوت الأجش ملكية تلك المساحات

التمهل عند الحاجه دون كلل ولا ملل وصرف الوقت لتطوير استراتيجيات جديدة و اعادة التأسيس ثم العودة في الوقت الناسب.

التي ننتمي لها وتنتمتي لنا وكيف استوطنها استيطانًا رغم أنها كانت لنا نحن."!
يدرك النمل أن استعادة المساحات مسألة وقت، فالنمل لا يعرف اليأس، بل يجيد ممارسة الصبر، والمرابطة، والملابطة، ويعرف أن الأحوال مثل الفصول... تتغير، وأن الأيام... دول... وأن الدول... أيام. والنمل أنواع، نمل صغير لا يكاد المرء يراه ولكن قرصته مؤلمة جدًا، ونمل أحمر ونمل أبيض ونمل يزحف ونمل يطير... وكل مُيسر لم خُلق له.

استراتيجية النمل ليست استراتيجية ثورية تراهن على العنف أو تبحث عن تغيير مفاجئ وراديكالي، بل هي استراتيجية تعتمد الانصراف للعمل في صمت لا تؤمن بالضجيج (هل سمعتهم نملة تهتف في ميدان التحرير؟)، وهي استراتيجية تؤمن بتقسيم الأدوار والتعاون المنظم والاشتراك في القيادة والإدارة اللامركزية والتعاون في اتخاذ القرار وشيوع المسئولية لتستشعرها كل نملة، ولم تقل نملة يومًا لا أستطيع، تظل تحاول وتحاول وتحاول حتى يتم إنجاز المهمة.

١. *الإنصراف للعمل في صمت.*
٢. *تقسيم الأدوار والتعاون المنظم.*
٣. *الإشتراك في القيادة واللامركزية.*
٤. *التعاون في اتخاذ القرار وشيوع المسؤلية.*
٥. *الإستمرار في المحاولة لإنجاز المهمه.*

ضجيج الآلات الكبرى قد يشعرنا بتفاهة النمل، وقد نظن أن الآلة لا بد لها من عصا لو وضعناها فيها ستوقفها، النمل قد يقرر أكل سير الماكينة أو أن يتسلى بتناول وجبة من الغلاف العازل لسلك كهرباء، واترك النمل قليلاً ستجده قادرًا على وقف الآلة الكبيرة بأفعال صغيرة.

هنا مثال رائع الأفعال الصغيرة المتراكمه تؤدي الى نتائج كبيرة مهمه.

طول النَفَس، والإخلاص في العمل مهما كان صغيرًا، والحرص على الاستمرار... هو الرهان ونقطة الماء تحفر مجرى النهر في الصخر، وسر التغيير: الهمة ...والصبر... والأمل.